ثقـــة

لكل ظاهرة من ظواهـر الحياة الاجتماعية أصولها المعروفة ، وعاداتها الموروثة ، وقواعدها التى يلزمها الناس ولا يحيدون عنها إلا أن تضطرهم إلى ذلك ضرورة ملجئة . فإذا أقام حزب الاتحاد حفلا لوداع وزير التقاليد وكان من الأصول أن تثور حفيظة حزب الشعب فيقيم حفلا لوداع وزير من وزرائه كوزير الزراعة مثلا ، وكان من الأصول أن يكون الحفل الشعبى أضخم وأفخم من الحفل الاتحادى . واذا أشرف رجل من رجال المال على الإفلاس وما يستتبعه الإفلاس كان من الأصول أن يخيل إلى الناس أنه لم يكن فى يوم من الأيام غنيا مثريا موفور الحظ من الغنى والثروة كما هو فى هذه الأيام . ومأأسرع مايقيم الحفل ويدعو إليه ويسرف فى تجميله وتزيينه ، ويغلو فى إكرام المدعوين والترفيه عليهم وامتاعهم بفنون من لذات الحياة ، حتى إذا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح كما يقول العامة قرأ الناس فى الصحف أن صاحب الحفل قد فتح لنفسه طريقا يمضى فيها الناس فلا يرجعون أو عجز عن أن يفتح لنفسه هذه الطريق ففتحت له الحكومة طريقا أخرى الى دار من تلك الدور التى تضيف المفلسين . وإذا أحست وزارة من الوزارات من نفسها ضعفا ، أو فتورا ، وشعرت بأن كرسيها يهتز فلا تكاد تثبت ، وأن الأرض من تحت أقدامها تضطرب حتى لكأنها تريد أن تزول ، وأن نفوسا قد انصرفت عنها ونفرت منها ، وانحرفت عن طريق إلى طريق أخرى ، وأن ألسنة قد انطلقت فيها بغير ماكانت تؤثرها به من الثناء والإطراء ، ومن التشجيع والإغراء .

إذا أحست وزارة هذا ، أو شيئا يشبه هذا من قريب أو بعيد أظهرت القوة والبأس ، وأعلنت الفتوة والبطش ، وتحدثت فأسرفت فى الحديث بأنها لم تكن فى يوم من الأيام أقوى مما هى فى هذه الأيام التى يطيف بها الضعف فيها من كل مكان ، ويسعى إليها الفتور فيها من كل نحو ، ويأخذها الإفلاس فيها من كل طريق ، حتى إذا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح كما يقول العامة ، نظر الناس فإذا استقالة مرفوعة أو إقالة موضوعة ،

كوكب الشرق فى ١ - ٨ - ١٩٣٣

وإذا وزارة تذهب وأخرى تجيىء . وأنا مؤمن أشد الإيمان بقوة الوزارة القائمة فى مصر ، مطمئن أشد الاطمئنان إلى ماتملك من حول وطول ، وماتصرف من بأس وبطش ، عالم حق العلم أن شيئا فى مصر لايعجزها ، واثق كل الثقة بأنها لم تكن فى يوم من الأيام أقوى من منها أمس ، وأقوى منها اليوم ، وأقوى منها غدا !!

ولست فى حاجة إلى آن آقيم لنفسى أو لغيرى على ذلك دليلا ، فمازال الوزراء يذهبون إلى مكاتبهم ويعودون إلى بيوتهم ويقيم بعضهم فى مصر ويرحل بعضهم إلى أوربا . ومازال الناس يصرفون عن الوفد ورئيس الوفد بقوة الشرطة وبأس الجند . ومازال لدى الوزارة عدد وعدة تسخرهما متى شاءت فى تفريق الشعب إن اجتمع وإسكات الشعب إذا نطق ، ورد رئيس الوفد وأصحابه إن تحدثت إليهم أنفسهم برحلة لاترضاها الوزارة ولاتميل إليها . فالدليل قائم – والحمد لله – على قوة الوزارة ، والبرهان ناطق – والحمد لله – ببأس الوزارة . وإنا نؤمن بهذا كله إيمانا لايشوبه شك ولايداخله ريب ! وكم أحب أن يؤمن الناس جميعا أو أن تؤمن كثرة الناس أو قلتهم بقوة الوزارة كما أؤمن بها . والناس يتمنون ذلك ويسعون إليه ، ولكن للوزارة أصدقاء حظهم من الجهل أشد من حظهم من الحلم ، ونصيبهم من الحمق أعظم من نصيبهم من الرشد والتوفيق . يريدون أن يدافعوا عن الوزارة ، والوزارة فى غير حاجة إلى الدفاع ، ولكنهم على ذلك يدافعون عنها فيسيئون إليها ، ويطمعون فيها الناس ، ويخيلون إليهم أنها فى الرمق الأخير . ومن هؤلاء الناس كتاب الوزارة الذين يكتبون لها فى صحفها الخاصة وفى الصحف الموالية لها .

فهؤلاء الناس يقولون على الوزارة مالاتريد أن يقال عنها . يقولون مثلا إنها راضية مطمئنة عن ثبات الأمن واستقرار النظام ، لأن الأمن ثابت بالفعل والنظام مستقر بالفعل ، ولأن هذه الحوادث التى تحدث لاسبيل إلى منعها فضلا عن اتقائها لأن ذلك ليس فى طاقة الحكومات !!

يقولون هذا ، وهم يعلمون حق العلم أن الوزارة لاترضى هذا ، ولا تحب أن يقال عنها ، فهى ليست مطمئنة إلى ثبات الأمن ، ولا إلى استقرار النظام . ولو قد كانت مطمئنة لما ألغت إجازات المأمورين ورؤساء الشرطة ولو قد كانت مطمئنة لما ألفت لجنة لتقوية الشرطة فى الأقاليم وللمقارنة بين عدد الشرطة وعدد السكان . وهى تعلم حق العلم أن الناس يقتل بعضهم بعضا ويجرح بعضهم بعضا ، أفرادا وجماعات تحت ضوء النهار ، وفى ظلمة الليل . وهى تعلم حق العلم أن قد ظهرت فى مصر ظاهرة غريبة فى

هذا الأيام وهى تنظيم الغارات والاستعداد للغزو بين القرى ، بل بين الأسر فى القرية الواحدة . فلم يكد الناس يقرأون أنباء موقعة « الشوبك » حتى ظهرت الصحف وفيها موقعة جديدة فى سوهاج . والوزارة أعقل وأشد احتراما لنفسها من أن تزعم أن الأمن ثابت وهو مضطرب ، وأن النظام مستقر وهو يهتز ويترجح حتى يسقط عنه الناس صرعى ، فيهم القتيل وفيهم الجريح ، ولكن صحف الوزارة تريد أن تدافع عن الوزارة فتهاجمها ، لأن الناس يظنون أن هذه الصحف إنما تكتب عن وحى من الوزارة . وهم يبيحون لأنفسهم أن يصفوا الوزارة بالضعف والتقصير إذا ظهر عجزها عن حماية الأمن وحفظ النظام ، ولكنهم لايحبون ولايرضون أن يصفوا الوزارة بالكذب والمكابرة . والوزارة لاتكذب وإنما صحفها هى التى تكابر وتمارى وتغلو فى المكابرة والمماراة حتى كأنها تزدرى عقول الناس .

وهذه الصحف تريد أن تدافع عن الوزارة فتسخف ، وتقول على الوزارة أشياء لوصحت لما كان بد من أن تستقيل لأن عملها قد تم ، ومهمتها قد انتهت . فهذه الصحف تزعم أن الوزارة لاتخاف الوفد ولاتخشاه ولاتحسب له حسابا ، لأن الوفد قد مات ! مات وشبع موتا ! مات وأصبح جثة هامدة تطؤها الأقدام ولاتنخفض إليها الأبصار !!

كذلك تقول صحيفة من صحف الوزارة فتسىء إلى الوزارة من أنحاء كثيرة . تسىء إليها لأنها تكذب عليها ، فالوزارة مازالت تخاف الوفد وتخشاه وتحسب له ألف حساب وحساب ، ولولا ذلك لما طوقت دار رئيسه بالجند ولولا ذلك لما عبأت وحشدت كلما هم رئيس الوفد بزيارة أو أداء صلاة .

وهذه الصحف تسىء إلى الوزارة لأنها تجعل وجودها الآن غير نافع ولامفيد ، وتسحق الفوضى . ولعلها تتمنى للوفد طول الحياة ليتم لها طول البقاء ، فالتحدث بأن الوفد قد مات مطالبة للوزارة بأن تستقيل . وهذه الصحف تسىء إلى الوزارة لأنها تتحدث عن خصوم الوزارة فى أدب أقل ما يوصف به أنه رفيع جدا كهذا الأدب الذى يتحدث به وزير التقاليد ووزير الزراعة عن المعارضين .

وليس من مصلحة الوزارة فى شىء أن يضيف الناس إليها هذا الأدب الرفيع . وهذه الصحف تسىء الى الوزارة لأنها تضيف إليها من الثقة بنفسها هذا النوع الذى يشبه ثقة المفلس فى آخر عهده بالغنى وأول عهده بالإفلاس ، وتخيل إلى الناس أن هذه الثقة

ليست إلا متكلفة مصنوعة يراد بها التجلد والصبر وانتظار الأحداث ، ولست أدرى مانفع وزارة المعارف إذا لم تعلم كتاب الوزارة كيف يدافعون عن الوزارة .

فصحف الوزارة مرآة لها . ونؤكد للوزارة أنها تظهرها فى مظهر لا يدل على قوة ، ولاعلى أمن ، ولا على استقرار . وإنما يدل على الضعف والخوف والاضطراب . فنحن نعلم حق العلم أن وزارتنا لاتنقصها الشجاعة ولا الرجولة ، وأن الرجل الشجاع هو الذى لاينكرالخطر الواقع وإنما يثبت له ويهجم عليه . وفساد الأمن أمر واقع لاتنكره الوزارة وإنما تعترف به ، وتحاول أن تزيله . وليس ذنب الوزارة أنها لاتستطيع إزالة هذا الشر وتبقى مع ذلك فى مناصب الحكم .

ومثل هذا يقال عن دفاع صحف الوزارة فى كل ماتحتاج الوزارة فيه إلى الدفاع . وهى محتاجة الآن إلى الدفاع فى كل شىء . فكتابها يزعمون أنها قد فعلت فى مسألة الدين أقصى ماتستطيع أن تفعل ، وخصومها لا ينكرون ذلك ، وإنما يقولون إن هذا الذى فعلته ليس شيئا . ومادامت لاتستطيع أن تفعل خيرا منه فيجب عليها أن تستقيل .

حسن جدا أن تثق الوزارة بنفسها ، وأن يثق أنصار الوزارة بها ، ولكن أحسن من هذا أن تكون هذه الثقة صادقة ، وأن يكون تصويرها صحيحا وكل شىء فى أعمال الوزارة وأقوال أنصارها لايدل على ثقة صادقة ولا يصور اطمئنان النفوس . ومن أشد الخطر أن يرى الناس رأى العين عجز الوزارة حتى عن أن تثق بنفسها .